

(١)

المقدمة

obeikandi.com

المقدمة

هذا الكتاب ليس (سيرة ذاتية) لسلمان بن عبدالعزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود.. فللسير الذاتية خصائصها وطابعها وأدبياتها ولغتها.

إنما هذا الكتاب (اكتشاف الجانب الآخر) من رجل قدر لي أن أقرب منه، وأعرفه معرفة مباشرة موسعة، وأن أتعامل معه في مستوى فكري راقٍ، ملؤه الجد والحرية والتشاور والشفافية.. (والاختلاف الرفيع) أحياناً^(١).

هو أحد أبناء الملك عبدالعزيز الكبار.. نعم.

وهو حاكم إداري لمنطقة الرياض.. نعم.

وهو ذو وزن سياسي مرموق على المستويات: الوطنية والعربية والإسلامية والدولية.. نعم.

بيد أن الجانب الآخر الضخم الذي وددنا أن يشاركننا فيه قارئ هذا الكتاب هو أنه:

(١) تقصد بالاختلاف الرفيع: تنوع وجهات النظر - إلى آخر آراء التفكير الحر - في قضايا تحتمل وجهات نظر متنوعة ٠٠ أما في الأساسيات فهناك تطابق ووحدة بحمد الله.

(رجل فكر):

أولاً: هو رجل فكر؛ لأنه يفكر في كل شأن يتناوله أو يتعامل معه.. وقد يقال: إن كل إنسان (يفكر) من حيث إن (التفكير) من خصائص هذا الكائن البشري.. وهذا صحيح، ولكننا نقصد النوع الآخر من التفكير.. نقصد (التفكير الخلاق ذا الرؤية الواضحة المتسمة بالمبادأة والاستقلال).. وضرب المثل موكّل دوماً بتوضيح المعنى وتحديده.

قبل سنوات ثمان ماج العالم بظاهرة استقبال القرن الحادي والعشرين، وكان لذلك دويّ شديد في وسائل الإعلام وعلى ألسنة ساسة وقادة كثر من كل جنس وملة.

جرى حديث بيننا في هذا الأمر، فمكث غير بعيد ثم قال: هذه ظاهرة مبالغ فيها، لا تلبث أن تتلاشى على الرغم مما يحيط بها من أضواء واحتفالات. والرأي عندي هو أن المهم هو الاستعداد للمستقبل على الأرض وفي الواقع: بالمعرفة والعلم والعمل والإنجاز، وبالاستفادة من تجارب الماضي: القريب والبعيد.. وهذه مهمة دائمة لا تتوقف في نهاية القرن العشرين ولا في بداية القرن الحادي والعشرين.

وفي هذا دلالة على (الرؤية الفكرية المستقلة) .. ودلالة على (التفكير العميق) في الحدث أو المناسبة: التفكير الذي يعطي نفسه الحق والحرية في مخالفة ما عدَّ (مسلمات) .. وما هو بمسلمات عند التحقيق.

ثانياً: هو (رجل فكر) من حيث متابعة (حركة الأفكار) في الوطن العربي والعالم الإسلامي والعالم الإنساني، فلا تكاد مدرسة أو اتجاه فكري له وزنه واعتباره في عالمنا هذا - ولا سيما العالم العربي الإسلامي - إلا لهذا الرجل معرفة به: في هذه الصورة أو تلك .. مثال ذلك الحركات والاتجاهات الفكرية: القومية والدينية واليسارية والوطنية.

ثالثاً: هو (رجل فكر)؛ لأن لديه (أفكاراً إبداعية) وفيما يأتي أنموذجان منها:

١- نشأ جدال في المملكة العربية السعودية حول (خصوصية) هذه البلاد، وتلخص هذا الجدل أو تركب في اتجاهين رئيسيين.

أ- اتجاه يغلو فيقول بـ (الخصوصية السعودية) في كل شيء، لكأن السعوديين (نوع من الملائكة) يعيشون في شبه الجزيرة العربية، على كوكب الأرض.

ب- اتجاه يغلو - أيضاً - فينفي (الخصوصية) بإطلاق
مراغمة لحقائق معروفة قام عليها عشرات الأدلة.

أين إبداع سلمان بن عبدالعزيز في هذه القضية؟

لقد تمثل إبداعه في تجاوز هذين الاتجاهين.. وفي الانتصار
للحقيقة والعقل والاعتدال.. وفي نفي (الملائكية).. وفي تقرير
(الخصوصية الحقة) في الوقت نفسه.. يقول: «مرفوضة هي
المقولة التي تقول: ليس في المملكة العربية خصوصية؛ ففي
الحقيقة إن بلادنا مثل سائر بلاد أرض الله من حيث التراب
والبحر والجبال، ولكن الله خصها بخاصية مميزة بأن جعلها
موثلاً لبيته الحرام، ومهبطاً لوحيه، ومنطلقاً لرسالته، ومبعثاً
وموطناً لنبيه صلى الله عليه وسلم، ومهوى أفئدة المسلمين.
أعطوني مكاناً آخر يتوجه إليه المسلمون جميعاً في كل مكان
في اليوم خمس مرات في صلاتهم. ولذا يجب علينا شكر هذه
النعمة والمحافظة على هذه الخصوصية المميزة لنا، والتي
تحملنا في الوقت نفسه مزيداً من المسؤوليات».

وهذا طرح فكري ملؤه الوضوح والشجاعة الأدبية والإبداع:

الثاوي في الإمساك بـ (ميزان الاعتدال) الراض للغلوفي

ذنيك الاتجاهين.

ولم يكن الرجل - وهو يفصل فكرياً في هذه القضية الكبيرة الدقيقة - يصادر حرية المناقشة والتناول؛ فمن المعروف عنه أنه نصير حرية التعبير المسؤولة.. وإنما كان:

■ يصحح المنهج الذي ينبغي أن يلتزم في هذه القضية ونظائرها، فالحرية بلا منهج مجرد لغو!!.. ولا شك في أن قيمة الكلمة أرفع وأعظم من أن تكون مجرد لغو.

■ يستند إلى مرجعية لا يخترقها شك في تقرير (خصوصية) هذه البلاد.. لا جرم أن السعودية تتساوى مع بلدان العالم الأخرى في (الجغرافيا الطبيعية) التراب والجبال والبحار إلخ، فليس ترابها ذهباً خالصاً أو مسكاً فواحاً ولا بحارها عسلاً مصفى.. ويتساوى السعوديون مع سائر البشر؛ فهم ناس من الناس: منهم المصيب ومنهم المخطئ.. منهم الأخيار ومنهم الأشرار.. منهم الصالحون، ومنهم دون ذلك فالسعوديون ليسوا (شعب الله المختار)، كما يدعي أقوام آخرون: من عند أنفسهم.

والمرجعية العلمية اليقينية التي أستند عليها هي الكتاب والسنة فهذان المصدران يُنشئان اليقين ويثبتانه بـ (الخصوصية الحقة) المجردة من غلو الطرفين:.. ومن البراهين على هذه الخصوصية:

أ - وجود مكة التي حرمها الله - جل ثناؤه - يوم خلق السموات والأرض:

■ ﴿إِنَّمَا أَمْرٌ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ...﴾ (١).

■ «وفي البخاري ومسلم - بسندهما - : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة»، وليس ذلك إلا لهذه البلاد: خصوصية وحيدة لا تتكرر في غيرها. ب - تنزل القرآن فوق هذه الأرض: ابتداءً بـ (اقرأ) في غار حراء في مكة، ثم تتابع نزوله في مكة والمدينة.. وليس ذلك إلا لهذه البلاد: خصوصية وحيدة لا تكرر.

ج - ابتعث النبي الخاتم فوق هذه الأرض ومن بين أهلها ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٢) وليس ذلك إلا لهذه البلاد: خصوصية وحيدة لا تتكرر.

د - لا تصح صلاة المسلم - في أي مكان في العالم - إلا باستقبال الكعبة المشرفة في البيت الحرام: ﴿وَحَيْثُ

مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ... ﴿١٥٠﴾^(١).. وليس ذلك إلا لهذه البلاد: خصوصية واحدة لا تكرر.

هـ - لا يؤدي المسلمون فريضة الحج إلا هاهنا في مكة.. فهذه البلاد مفتوحة أبداً بالنص القرآني المحكم: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ ﴿٢٧﴾^(٢).. وليس ذلك إلا لهذه البلاد: خصوصية وحيدة لا تكرر.

٢- الأنموذج الثاني من (الإبداع الفكري) لسلمان بن عبد العزيز: أنه صدع بحقيقة كبرى جامعة لخصت علاقة المسلمين بالله وبالحياة والكون في عبارة واحدة هي قوله: «لنفكر ونبدع في ظل لا إله إلا الله».

وإذا شاء أحد أن يسمي ذلك: (المفهوم التنويري الرئيس) أو (النظرية المعرفية الكاملة) فإن تسميته صحيحة من الناحية الموضوعية.

فهذه النظرية نفت بجسم - بادئ ذي بدء - التناقض المتوهم بين (الدين) و(الإبداع).. فثمة ناس من الناس لا

(١) البقرة: ١٥٠.

(٢) الحج: ٢٧.

يتصورون الدين إلا مجموعة (مفاهيم جامدة) تدعو الناس إلى الجمود.. ولما كان قوام الإبداع هو: الحركة والتفكير والتفتح والتجدد المستمر، فإن الدين والإبداع - من ثم - نقيضان لا يجتمعان عند من يحملون هذا التصور عن الدين.

ولذا كان أول قطاف نظرية (الإبداع في ظل لا إله إلا الله) هو إمالة التناقض المتوهم بين الدين والإبداع.

■ وهذه النظرية ترسخ الاقتناع الحرب أن التوحيد نفسه إنما يتأسس على (الإبداع الفكري).

فالطريق الحق إلى التوحيد الحق هو النظر النابه والتفكير اللماح في الآيات الكونية (البديعة) في السماء والأرض: في قطرة الماء.. وفي التنوع البشري.. وفي حركة الكون وانضباطها واطرادها وفق نظام محكم لا تتخلف سننه، ولا تضطرب قوانينه، ولا يطيش ميزانه.. وفي النبات المتنوع البذور والحقول.. وفي الحدائق ذات البهجة المزدانة برواء الورود وجمالها، ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْسَ اللَّهُ...﴾ (١).

إن النظر النابه - المقترن بتفكير ذكي لِمَاح - في الحداثق ذات البهجة مدخلٌ عقلائي موضوعي إلى التوحيد وحافز على خلوصه .

إن تأسيس التوحيد على (الابداع الكوني) يكسب المؤمن مراناً فكرياً خصيباً، ويعود مَلَكتَه الفكرية على (الإبداع) .. وهذا هو أحد الأسباب العميقة الأساسية التي تفسر النهضة الحضارية القوية والنضرة التي قادها العرب والمسلمون في كل حقل، والتي تبدى فيها الإبداع الرائق في كل فن .. يقول جون بادو أستاذ الفلسفة في جامعة كولومبا في نيويورك .. يقول - على سبيل المثال - : «وإذا كان التفاعل قد أسفر عن حضارة مثيرة للإعجاب فذة الشخصية فالفضل يعود في ذلك إلى العقيدة الإسلامية التي فجرت طاقات العرب؛ إذ كان الإسلام حاسم الأثر في مسار الإبداع الثقافي»^(١).

وبمقتضى هذا السبب (سبب أن عقيدة التوحيد هي نبع الإبداع في الحضارة العربية الإسلامية) .. بمقتضى هذا السبب يرفض سلمان بن عبدالعزيز بقوة إسقاط مصطلح (القرون الوسطى المظلمة)^(٢) على التاريخ العربي الإسلامي .. ولقد

(١) عبقرية الحضارة العربية ص٢٢ .

(٢) للأهمية المعرفية والتاريخية لهذه القضية الملتبسة على الكثيرين - من العرب والمسلمين وغيرهم - عقدنا فصلاً خاصاً مستقلاً لها: استناداً إلى الفكرة الأصيلة عند سلمان ابن عبدالعزيز.

توصل إلى مقارنة تاريخية ذكية جداً، وهي أن القرون الوسطى المظلمة في أوروبا يقابلها القرون السبعة الأولى للحضارة العربية الإسلامية، وهي عصور كانت (مركزاً عالمياً) للتنوير العقلي والمعرفي والثقافي والاجتماعي والعمراني.

ورفض إسقاط ذلك المصطلح الأوربي على التاريخ العربي الإسلامي ينبغي أن يضاف إلى (إبداعاته) أيضاً: في التعامل الفكري اليقظ مع المصطلحات.

■ ولئن كانت مشكلة العرب والمسلمين الحضارية تتمثل في (انفصال الفكر عن التطبيق) فإن فكر هذا الرجل ليس (تجريدياً) ولا منفصلاً عن التطبيق (سنرى حقيقة ذلك في فصل الإبداع العمراني والحضاري الذي قاده سلمان في الرياض).

إنه الفكر المصحوب بالتطبيق، أو الفكر الذي هو (دليل عمل)، و(خريطة حركة) في الإدارة وال عمران.

ومن خلال صحائف الكتاب يتبين القارئ صحة هذا التعبير ودقته.

وثمة محاور ومعطيات وقيم ومبادئ ومقتضيات أخرى: انبثقت منها فكرة الكتاب:

١ - المحور الأول: لماذا يهجر الناس ما ينبغي إيلافه هجراناً يجعل الإيلاف الواجب الطبيعي أمراً غريباً؟!

مثلاً: هل الأصل في العلاقة بين المثقفين ورجالات الحكم أن تكون علاقة جفاء ونكد وتربص وعداوة - ظاهرة أو مكتومة-؟ ومن قال هذا؟.. وماهي القاعدة العلمية الموضوعية التي يستند إليها هذا القول؟.

وللصدق والواقعية حضورهما وحكهما في هذه القضية؛ فنحن نعلم وغيرنا يعلم أن الكثير من المثقفين والمفكرين في الوطن العربي، والعالم الإسلامي، والعالم كله لهم، علاقات برجالات الحكم على هذا المستوى أو ذاك.

هذه ظاهرة لا يستطيع أحد نكرانها - ومعها عقله وضميره - ولقد اقترنت هذه الظاهرة بظاهرة أخرى وهي أن الناس قد تعودوا على أن تكون هذه العلاقة (مكتومة) أو (خجلى) سواء أكان هؤلاء الناس هم أصحاب العلاقة المباشرة المعينة، أم كانوا رأياً عاماً.

ولماذا التعود على أن تكون العلاقة مكتومة بين المثقفين ورجالات الحكم؟ هل هي (علاقة سرية) يجب كتمانها أبداً؟

أو هي بالضرورة (تواطؤ) على الإثم والعدوان يخشى أن
يفتضح؟!

أليس ثمة علاقة بين المثقفين ورجال الأعمال؟.. نعم ثمة
علاقة قوية وواسعة لا تستغرب ولا تستنكر.. كذلك ينبغي أن
يكون الحال بين المثقفين ورجالات الحكم.. فرجال الأعمال
مشتغلون بالمال والاقتصاد في حين أن رجالات الحكم هم
(رجال أعمال مشتغلون بالسياسة والحكم).. فالاقتصاد
(عمل) وكذلك الحكم (عمل).

بهذا التصور والفهم نشأت علاقة بيني وبين الأمير سلمان
ابن عبد العزيز منذ ما يقرب من عقدين من الزمن.

وهي علاقة فكرية علمية ثقافية في صميمها.

وهذا ما تنادي بإيلافه ومباشرته، دون عُقد ولا وسوسة.

وقد يقال: إن علاقة المثقفين والمفكرين مع رجالات
الحكم مشوبة أو معرضة لـ (الإملاء) دوماً بينما يجب أن يكون
المثقف أو المفكر متحرراً من كل إملاء على الدوام.

وهذا تصور وهمي ناشئ عن الحكم على الأمور من بعيد أو
بسوابق سيئة ليس من المنهج الصحيح تطبيقها على كل حالة
وفي كل الأحوال.

ومن خلال التجربة الطويلة نسبياً لم أشعر في يوم من الأيام بهذا الإملاء، بل كثيراً ما كنت أتجاوز مع سلمان لكي أستطلع رأيه بحكم موقعه في موضوع من الموضوعات، فيرفض ويقول: «ليكن الرأي نتيجة البحث لا قبله.. خذ حريتك وتحمل مسؤوليتك».. ومع (حرية) البحث والدراسة والرأي: لا يكون هناك مجال للإملاء؛ لأن الحرية والإملاء نقيضان لا يجتمعان.

ذاك هو المحور الأول: محور (الوضوح) في العلاقة بين المثقف ورجل الحكم.

٢ - المحور الثاني هو: (تجديد الوعي بمفهوم الأخوة ومقتضاها).. فلعوامل كثيرة ينسى الناس رابط الأخوة الذي يربط بين الحاكم والمحكوم في الدولة المسلمة، وهذا النسيان ذهول عن منهج الإسلام الذي يقيم علاقة الأخوة بين المسلمين جميعاً في مختلف مستوياتهم، بما تتضمنه الأخوة من معاني المحبة والمودة والموالاتة والتعاون.. فرجال الدولة مشمولون بقول الله جل ثناؤه:

أ - ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ... ﴾ (١٠) (١).

ب - ﴿ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا... ﴾ (١٠٣) (٢).

(١) الحجرات: ١٠.

(٢) آل عمران: ١٠٣.

ورجالات الحكم المسلمون مشمولون بقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

أ- «المسلم أخو المسلم»^(١).

ب- «وكونوا عباد الله إخواناً»^(٢).

ج - «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»^(٣).

د - «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»^(٤).

ولقد انطوى صدري على أن سلمان بن عبد العزيز أخ صدوق حميم عظيم^(٥).

٣- أمّا المحور الثالث فهو (التجانس الفكري) بين سلمان وبين مؤلف هذا الكتاب، ولا سيما في أمهات المسائل كما سبقت الإشارة إلى ذلك:

لقد انتظم هذا الكتاب (سلمان بن عبد العزيز: الجانب الآخر) الفصول والمباحث الآتية:

١ - المقدمة.

(١، ٢، ٤) البخاري ومسلم.

(٥) هذا كذلك من الجوانب المكتشفة في شخصيته مما ينبغي أن يعرفه الناس.

- ٢- في الامتداد الأعظم للملك عبدالعزيز.
- ٣- الخصائص العشر المشتركة بين الملك عبدالعزيز وابنه سلمان.
- ٤- المفهوم التنويري للدين: الإبداع في ظل لا إله إلا الله (لنفكر ونبدع في ظل لا إله إلا الله).
- ٥- الإبداع في ظل لا إله إلا الله.
- ٦- النظرية في مجال التطبيق: الإبداع العمراني الذي قاده سلمان في الرياض.
- ٧- موجز قصة الابداع العمراني الحضاري في الرياض.
- ٨- سلمان: الناقد الحضاري.
- ٩- السياسة.. والإنسانية: فن الحكم.. والعمل الخيري
- أ - فن الحكم.
- ب- مسيرة نصف قرن من الريادة في العمل الخيري والإنساني.

شكر وتقدير:

تقتضي الأمانة العلمية كما يقتضي خلق الشكر أن نشكر الأستاذ/ عساف بن سالم أبو ثنين.. فثمة معلومات ومواقف مسجلة في هذا الكتاب مصدرها الوحيد الأخ عساف، ومن هنا أشرنا إليه في فهرست الكتاب بأنه (المصدر الحي الناطق)، ومما مكّنه من أن يزودنا بمقادير جزيلة ومفيدة من المعلومات والمواقف عن الأمير سلمان بن عبدالعزيز أنه وثيق الصلة

به: كتلميذ نابِه من تلاميذه، وأنه لصيق به جداً في الحياة اليومية، وأنه رفيق في الأسفار الرسمية.. وهو المدير العام لمكتبه الخاص.

شكراً للأخ عساف أبو ثنين.

زين العابدين الركابي